الفصل الأول

الديانات وتفسير الظاهرة الدينية

الفصل الأول :

المبحث الأول : مفهوم تاريخ الديانات.

المبحث الثاني : تفسير الظاهرة الدينية لدى الإنسان.

المبحث الثالث : تصنيفات الديانات وما ورد عليها من اعتراضات.

المبحث الأول

مفهوم تاريخ الديانات

تعددت تعريفات علم تاريخ الديانات، وذلك انطلاقا من الزوايا التي نظر كل منها إلى الدين، فمن واصف له **بالظاهرة النفسية** وأسقط عليه ما تعلق بعلم النفس من علوم، ومن مدرج له في **الظّواهر الاجتماعية**، وأخضعه للعلوم الاجتماعية، وقسم آخر من الباحثين المسلمين أدرجه في إطار **الظاهرة الإنسانية**، وتجرد من ما يعتقده بدعوى الموضوعية والإنصاف في الدراسة للموضوع. فسلك الجميع في ذلك مسلك الفلاسفة والمناطقة، والباحثين في الأديان من الغربيين، فأسقط على الديانات مبادئ العلوم الحديثة استقرائية أو استنتاجية، وتجرد من عقيدته الأم إلى حين من الدهر مستخدما اصطلاحات لم يذكرها السلف وما هي مما أجمع عليه الخلف، ونحن في هذه الكتاب ننضبط بثوابت عقيدتنا الإسلامية عند تناولنا لهذا الموضوع، فنعرض لعقائدهم كما هي سالكين المنهج القرآني الذي استعرض عقائد مختلفة وديانات منحرفة، فبين ضلال أصحابها، وناقشهم بطرق مختلفة قبل أن يظهر تهافت أفكارهم، ونحن إذ نقف في هذه الدراسة عند الشق الأول المتعلق بالوصف والعرض فقط نقرر بأن النقد لا يكون إلا بعد الاطلاع على عقيدة الآخر، ومعرفة المصادر التي يستمد منها فكره، وهوما دفعنا إلى هذا التأليف الموجز، ونحن في النهاية مطمئنين إلى أن العقيدة الإسلامية لا تصادر عقائد الآخرين، بل تأمرنا بالعدل مع الآخر المخالف.

تعريف الدين/الديانة

أ- من الناحية اللغوية :

«الدِّينُ» بالكسر :العادة والشأن وَ«دَانَهُ» يَدِينُهُ «دِينًا» «فَدَانَ» أَذَلَّهُ وَاستَعْبَدَهُ. وفي حديث : «اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموْتِ»[1]. وَ«الدِّينُ» أيضا الجَزَاءُ وَالْمُكَافَأَةُ

1-(ضعيف) : سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض. ج4/ص638(ح2459).

يُقال : «دَانَهُ» يَدِينُهُ «دِيناً» أَيْ جَازَاهُ. ويُقَالُ : «كَمَا تَدِينُ، تُدَانُ» أَي كما تُجَازِي تُجَازَى بِفِعْلِكَ وَبِحَسَبِ مَا عَمِلْتَ. وَمنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أَي لَمَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ، ومنه «الدَّيَّانُ» في صفات الله تعالى. وَ«دَانَهُ» مَلَكَهُ، وَقِيلَ مِنْهُ سُمِّيَ الْمِصْرُ «مَدِينَةً» وَ«الدِّينُ» أيضا : الطَّاعَةُ، تقول : «دَانَ لَهُ يَدِينُ دِيناً» أَيْ أَطَاعَهُ، وَالجَمْعُ «الْأَدْيَانُ»[1]، وفي المعجم «دَان» دينا وديانة خضع وذل وأطاع، وَيُقَال : دَان لَهُ وَله مِنْهُ اقتصّ، ودَان فلَان فلانا حمله على مَا يكره وحاسبه وساسه وجازاه وَيُقَال : دانه بِفِعْلِهِ.[2]

والدّيانَة اسم جامع لكل مَا يعبد بِهِ الله ملَّة وشريعة، ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران من الآية : 19 ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3]، وحديث : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[4]، وَ هي أيضا الإِسْلَام والاعتقاد بالجنان وَالإِقْرَار بِاللِّسَانِ وَعمل الجَوَارِح بالأركان، قال الشاعر :

ما أحسن الدِّين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجلِ!

والناظر في هذه التعريفات اللغوية «يجد أنها لا تخرج عن ثلاثة معان أساسية، تختلف باختلاف استعمال هذا اللفظ في الكلام، فإذا جاء بصيغة التعدية بنفسه «دان يدين دينا وديانة»، قصد به المُلك والحُكم والقَضاء والسياسة والقَهْري والمحَاسَبة والمجَازَاة والمكَافَأة، والدينُ بهذا المعنى يدور على معاني المُلْكِ والتصرُّفِ «مالك يوم الدِّين». وأما إن تعدى الفعل بحرف اللام، فالمقصود بذلك الطاعَة والخُضُوع والعبادة، وعبارة «الدينُ لله» يصح فيها المعنيان، الأول والثاني. ولا يخفى ما بين هذين المعنيين من ترابط.

1ـ لسان العرب : ج13/169 / مختار الصحاح : أبوعبد الله الرازي.ص : 110.

2ـ المعجم الوسيط : المجمع ص : 307.

3ـ سورة البقرة / الآية : 256

4ـ صحيح البخاري : كتاب الإيمان / باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الدين النصيحة». ج1. ص : 21.

يُقال : «دَانَهُ» يَدِينُهُ «دِيناً» أَيْ جَازَاهُ. ويُقَالُ : «كَمَا تَدِينُ، تُدَانُ» أي كما تُجَازِي تُجَازَى بِفِعْلِكَ وَبِحَسَبِ مَا عَمِلْتَ. وَمنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي لَمَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ، ومنه «الدَّيَّانُ» في صفات الله تعالى. وَ«دَانَهُ» مَلَكَهُ، وَقِيلَ مِنْهُ سُمِّيَ الْمِصْرُ «مَدِينَةً» وَ«الدِّينُ» أيضا : الطَّاعَةُ، تقول : «دَانَ لَهُ يَدِينُ دِيناً» أَيْ أَطَاعَهُ، وَالجَمْعُ «الْأَدْيَانُ»[1]، وفي المعجم : «دَان» دينا وديانة خضع وذل وأطاع، وَيُقَال : دَان لَهُ وَله مِنْهُ اقْتصّ، ودَان فلَان فلانا حمله على مَا يكره وحاسبه وساسه وجازاه وَيُقَال : دانه بِفِعْلِهِ.[2]

والدّيانَة اسم جامع لكل مَا يعبد بِهِ الله ملَّة وشريعة، ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران من الآية : 19 ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[3]، وحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[4]، وَ هي أيضا الإِسْلَام والاعتقاد بالجنان وَالإِقْرَار بِاللِّسَانِ وَعمل الجَوَارِح بالأركان، قال الشاعر :

ما أحسن الدِّين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجلِ!

والناظر في هذه التعريفات اللغوية «يجد أنها لا تخرج عن ثلاثة معان أساسية، تختلف باختلاف استعمال هذا اللفظ في الكلام، فإذا جاء بصيغة التعدية بنفسه «دان يدين دينا وديانة»)، قصد به المُلك والحُكم والقضاء والسياسة والقَهْري والمحَاسَبة والمجَازَاة والمكَافَأَة، والدينُ بهذا المعنى يدور على معاني المُلكِ والتصَرُّفِ «مالك يوم الدِّين». وأما إن تعدى الفعل بحرف اللام، فالمقصود بذلك الطاعَة والخُضُوع والعبادة، وعبارة «الدينُ لله» يصح فيها المعنيان، الأول والثاني. ولا يخفى ما بين هذين المعنيين من ترابط.

1- لسان العرب : ج13/169 / مختار الصحاح : أبوعبد الله الرازي.ص : 110.
2- المعجم الوسيط : المجمع ص : 307.
3- سورة البقرة / الآية : 256
4- صحيح البخاري : كتاب الايمان / باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الدين النصيحة».ج1. ص : 21.

وأما إن تعدى الفعل بالباء كان المعنى أنه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده واعتاده، أو تخلق به، والدين والديانة بهذا المعنى يقصد به، المذهب والطريقة التي يسير عليها الإنسان نظريا أو عمليا»[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الاستعمالات اللغوية متحققة في التعريفات الاصطلاحية، تتسع تارة، وتضيق أخرى تبعا لاختلاف رؤية أصحابها واعتقاداتهم للدين.

ب - تعريف مفهوم الديانة / الدين عند علماء الإسلام :

الدِّين في اصطلاح علماء المسلمين يختلف باختلاف رؤية كل واحد واعتقاده له، فتارة يأتي مقيّدا، وتارة يأتي **مطلقا** ففي التعريفات قال : «وضع إلهي يدعوأصحاب العقول إلى قبول ما هوعند رسول الله»[2]. وعرفه بعضهم بأنه :«وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات»[3]وفي الكشاف : «هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إيّاه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال والمعاملات»[4].

كلمة حول التعريفات السابقة :

إن هذه التعريفات تتفق كلها على كون الدين وضعا إلهيا، في إشارة إلى مصدريته، لكنها اختلفت عن بعضها البعض في الغاية منه، فبينما توقف صاحب التعريفات عند حدود القبول والرفض من لدن ذوي العقول، لما جاء به هذا الدين في محاولة منه لأن يكون محايدا في تعريفه، توسع أصحاب التعريفين الأخيرين باعتباره حقا يحمل حقائق اعتقادية وأخلاقا سلوكية ترشد معتنقيها وممارسيها إلى ما فيه صلاحهم في العاجل والآجل، في إشارة ضمنية إلى عقيدة اليوم الآخر لدى أصحاب هذا التعريف، كما يلاحظ على هذه

1. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان/ الدكتور عبد الله دراز. ص : 31
2. التعريفات / الجرجاني 1/105
3. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي : ج 1ص : 814
4. كشاف الاصطلاحات : التهانوي 1 ص : 814

التعريفات قَصرُها الدِّينَ على الدِّينِ السماويّ فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس وينقادون له يصح أن يسمى دينا، سواء كان صحيحا، أو باطلاً، بدليل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2]، فسمّى الله ما عليه مشركو العرب من الوثنية دينا.

كما أن الناظر في هذه التعريفات يلاحظ عدم خلوها من معنى الانقياد، بما يدل عليه لفظ السَّوْق من وجود سائق يرعى مصلحة المسوق الذي ينبغي أن يخضع له وينقاد لأوامره، ويسلم لأمره في كل شيء، وهومأخوذ من المعنى اللغوي الذي يفيد الخضوع والالتزام بأوامر الجانب الأعلى في هذه العلاقة، ولهذا عرفه بعضهم بكونه :«التسليم لله تعالى والانقياد له».

وإذا، فهي كلها اصطلاحات تدور على معنى «لزوم الانقياد»، إذ هناك إلزام، والتزام، ومبدأ يلتزم به، وكل ذلك يحمل الدلالة على علاقة تجمع بين طرفين فلا دين إلا بوجود متدين خاضع وديان قاهر، في ارتباط يضم طرفين أحدهما أعلى من الآخر، يلتزم فيها الأدنى ببيان مظاهر الطاعة والضعف اللذين يعكسان هذا الخضوع والانقياد، وذلك هوجوهر الدين وتعاليمه. وموضوع هذه المادة في هذا الكتاب يتناول المعنى الثاني والثالث للكلمة، إذ مادة تاريخ الديانات تدرس العقائد التي دان بها المتدينون عبر تاريخهم، حقا كانت أو باطلا.

ألفاظ ترد بمفهوم الدين :

نورد في هذا المقام بعض الألفاظ التي ترد بمفهوم الدين أحيانا في اصطلاحات المسلمين :

1- سورة آل عمران، الآية : 84

2- سورة الكافرون، الآية : 6

- الملة: قال الجرجاني الدِّين والملة: متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى: ديناً، ومن حيث إنها تُجمع وتملى تسمى: ملة، ومن حيث إنها يُرجَع إليها تسمى: مذهباً، وقيل: الفرق بين الدين، والملة، والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد.[1] وقال الراغب «الـمِلَّة كالدّين، وهواسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصّلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدّين أنّ الملّة لا تضاف إلّا إلى النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تسند إليه. نحو: ﴿فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[2]، قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىَ﴾[3]، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله، ولا إلى آحاد أمّة النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تستعمل إلّا في حملة الشّرائع دون آحادها، لايقال: ملّة الله، ولا يقال: ملّتي وملّة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملّة الله. وأصل الملّة من: أمللت الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ...الآية﴾[4]

قلت: هذا الذي ذهب إليه الراغب وقيد به الملة ليس على إطلاقه، وإنما هوأحد معاني الملة في اللغة، بدليل مجيئها في البيان القرآني بمعنى الدين الفاسد والاعتقاد الخاطئ مضافة إلى المستكبرين من قوم شعيب قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾[5]، وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[6]، وفي قصة أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾[7]،

1- التعريفات: الجرجاني. ج 1 ص: 105
2- سورة آل عمران، الآية: 95
3- سورة يوسف، الآية: 38
4- سورة البقرة، الآية: 281
5- سورة الأعراف، الآية: 87
6- سورة يوسف، الآية: 37
7- سورة الكهف، الآية: 20

والكافرون من أقوام الأنبياء على مدى الأجيال كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. وقد جعل بعض علماء المسلمين هذه التسمية عناوين لكتاباتهم مثل «الملل والنحل» للشهرستاني «548 هـ»، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم «456هـ»، في إشارة منهم إلى التمييز بين ما أنزله الله تعالى من دين وشرائع، وما جاء به البشر وانتحلوه من مذاهب جعلوها أديانا يعتقدونها. مما يجعلنا أمام مصطلح النحلة، فما مدلول مفهوم النحلة؟

2 ـ **النِّحْلة**: في اللسان وردت بمعانٍ متعددة منها العطية من غير عوض، ومنها الانتساب للشيء وادعاؤه، ومنها الذهاب مذهبا معينا، ومنها الديانة، ومنها الفرض، ومنها السباب يقول ابن منظور: «والنُّحل بالضم إعْطاؤُك الإنسانَ شيئاً بلا اسْتِعاضة، وعمَّ به بعضهم جميعَ أنواع العَطاء وقيل هوالشيء المُعْطى... ونُحل المرأةِ مَهْرُها والاسم النِّحْلة تقول: أعطيتها مهرَها نِحْلة بالكسر إذا لم تُرِد منها عِوَضاً وفي التنزيل العزيز ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً...﴾ وقال أيضا: «النِّحلة وهي النِّسْبة بالباطِل، ويقال: ما نِحلتُك أي ما دِينُكَ؟.. ويقال نَحَلَ فلانٌ فلاناً إذا سابَّه فهويَنْحَله يُسابُّه...»[2] وإذا استثنينا كونها العطية بغير عوض يبقى أن تكون من قبيل الادعاء لشيء باطل، وهومن باب الهوى المتبع لأن ادعاء شيء وانتحاله والتدين به من غير دليل، والانتساب إليه والمنافحة من أجله دون برهان من كتاب ولا سنة مما ذمه الله تعالى في القرآن الكريم، وتوعد أصحابه أشد الوعيد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ الآية﴾[4]، ولهذا سعوا إلى تفريق الملة عن

---

1 ـ سورة إبراهيم، الآية: 13

2 ـ لسان العرب: ابن منظور ج 4370/6

3 ـ سورة المائدة، الآية: 51

4 ـ سورة المؤمنون، الآية: 118

النحلة بكون الملة مصدرها من عند الله، بينما مصدر النحلة الإنسان، والفرق بينهما مثل الفرق بين الخالق والمخلوق.

3 - **المَذْهَب** : «يكون مصدراً كالذهاب، ويكون اسما للموضع، ويكون وقتاً من الزمان. والمَذْهَبُ : المُتَوَضَّأ»[1] أي المرحاض، والمذهب هو الطريقة والأسلوب قال في تهذيب اللغة : يُقَال : فلانٌ حَسَنُ المَدْخل والمَخرجِ أَي : حَسَنُ الطَّرِيقَة. محمودُها وَكَذَلِكَ : هُوَ حَسَنُ المَذْهَب»[2] أي المعتقد الذي يذهب إليه، وذهب فلان لذهبه أي لمذهبه الذي يذهب فيه، والمذهب عامةً هو الطريق الذي يختاره الشخص، سواء من باب الاجتهاد كالمذاهب الفقهية والقانونية، أو تأسيسا للأفكار والآراء، فتحمل بذلك صفة المذاهب والتيارات [3].
والدين أشمل من المذهب، وأوسع مفهوما ؛ لأن الدين يشمل اعتقاد الإنسان حول الخالق والمخلوقات وأمور الغيب والآخرة، أما المذهب فيكون في بعض هذه الأمور أو مسائل منها، وقد يكون في أمور الحياة فقط.[4]

ج - تعريف مفهوم الديانة /الدين عند علماء الغرب :

كلمة «الدين» في اللغة الإنجليزية تقابل«Religion» وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية «Religio» التي تشير إلى الرعب والخوف الذي يشعر به الإنسان في حضرة الروح أو الإله، وإذا كان المسلمون قد عرَّفوا الدين بناء على الرؤية الإسلامية، وكان تعريفهم ترجمة للدين الصحيح ، فقد جاءت تعريفاتهم متباينة مع تعريفات الغربيين، فتعريف المسلمين لا شك أنه ينطبق على الدين الحق، ولا يمكن تعديه إلى جنس الدين، وقد عُلم أن منه حسب الواقع والاستقراء الحق والباطل، وما انتشر من باطله أكثر بكثير مما عليه أهل الحق منهم قال تعالى في سورة الكافرون : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ **[الكافرون : 6]**، إلى آخر الآيات التي في هذا المعنى.

1- العين : للخليل الفراهيدي :4 ص :41
2- تهذيب اللغة : للأزهري 4 ص :127
3- مقدمة منهجية في تاريخ الأديان المقارنة : د. محمد الفاضل بن علي اللافي.ص : 58
4- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة : د. ناصر العقل ود.ناصر القفاري، ص :10

وأما الغربيون فلهم في تعريف الدين تعبيرات شتَّى اختلفت حسب المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها كل واحد ويرى أنها من أهم مميزات الدين، وسنذكر فيما يلي نماذج من هذه التعريفات : مندرجة تحت التصور النظري العام والمدرسة الفكرية التي تنتمي إليها وهي :

أ ـ الاتجاه الفلسفي :

ويقوم هذا الاتجاه على محاولة التوفيق بين العقل والدين أو بين العقل والإيمان، ونجد في هذا الاتجاه العديد من المفكرين والفلاسفة :

يرى الفيلسوف كانط[1] أن : «الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية».

ويذكر ديكارت في كتابه «مبادئ الفلسفة» أن : «من واجبنا أن نتخذ لنا قاعدة معصومة، أن ما أوحى به الله هو أوثق بكثير من كل ما عداه».

ويرى شلاير ماخر[2] أن : «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة». ويرى أيضا بأنه «خضوعنا لوجود لا يناله إدراكنا، أو أنه خضوع الإنسان إلى موجود أسمى منه».

ب ـ الاتجاه الاجتماعي :

عرض رواد هذا الاتجاه للدين من الوجهة الاجتماعية، محاولين تفسيره كظاهرة اجتماعية تحكم سلوك الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها، ولا ينبغي له بحال أن يخرج عنها لكونها تمثل الرباط المقدس الذي ينظم علاقاته بجماعته.

يرى جوبلي الفييلا[3] G. d Alvieila : أن الدين هو : «الطريقة التي يحقق بها الإنسان علاقاته مع الطاقات فوق الإنسانية أو الخارقة أو الخفية والتي يعتقد في حمايتها».

---

1 ـ إيمانويل كانط : فيلسوف ألماني (1804/1724 م).

2 ـ اسمه الكامل فريدريك شلاير ماخر : فيلسوف لاهوتي ألماني (1834/1768 م) مؤسس الهرمينوطيقا العامة «فهم الفهم، أي فهم أي قول على الإطلاق».

3 ـ أكاديمي بلجيكي، أستاذ تاريخ الأديان، ورئيس الجامعة البلجيكية الحرة. ت 1925 م.

وتعتبر المدرسة الفرنسية التي يمثلها «إميل دور كايم» الدين: «عبارة عن مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم المقدس، والتي تنظم سلوك الإنسان حيال هذا العالم بحيث تؤلف هذه المجموعة وحدة دينية تنظم كل من يؤمنون بها».

ويقول ميشيل مايير[1] : «الدين هوجملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس، وفي حق أنفسنا».

ويقول جويوه[2] في كتابه لادينية المستقبل :«الديانة هي تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هوالشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى، يركزها الإنسان البدائي في الكون».

ويرى إيريك فروم[3] أن الدين هو : «كل مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما، ويعطي للفرد إطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة».

ج ـ الاتجاه النفسي :

يقوم هذا الاتجاه على اعتبار الدين أداة لفهم وتفسير مختلف الوضعيات والحالات النفسية لدى الفرد.

فيرى غوستاف لوبون[4] أن اعتقاد الجماعات يصطبغ بصبغة خاصة عبر عنها «بالشعور الديني، ولهذا الشعور مميزات بسيطة للغاية، كعبادة «ذات» يتوهم أنها فوق الذوات والخوف من القوة الخفية التي يبطن بها، والخضوع الأعمى لأوامرها، واستحالة البحث في تعاليمها، والرغبة في نشرها، والنزوع إلى معاداة من لا يقول بها». ومتى تكيف الشعور بهذه الصفة من طبيعة الشعور الديني.

ويعرفه ريفيبل[5] بأنه : «تحقيق الحياة الإنسانية بواسطة الإحساس بأن رباطا يصل الروح الإنسانية بالنفس الخفية حيث تعترف الأولى بما لهذه النفس من سلطان على العالم، ولذلك يجب أن تشعر الروح الإنسانية بالاتصال الدائم بها».

---

1 ـ فيلسوف بلجيكي معاصر، وأستاذ جامعي محاضر بالعديد من الجامعات البلجيكية (ولد سنة 1950)

2 ـ فيلسوف وروائي فرنسي، تأثر كثيرا بفلسفة فريديريك نتشه. مات سنة 1888 م

3 ـ عالم نفس وفيلسوف ألماني أمريكي، من أعماله التحليل النفسي والدين، مات سنة 1980 م

4 ـ فيلسوف وطبيب ومؤرخ وأنتروبولوجي فرنسي، من المستشرقين المنصفين، له كتاب «حضارة العرب في الأندلس». مات سنة 1931 م

5 ـ عالم لاهوتي فرنسي، باحث في الكتاب المقدس وتاريخ الأديان مات سنة 1906 م

ويرى فرويد[1] - رائد مدرسة التحليل النفسي - أن الدين هو «محاولة السيطرة على العالم الحسي الذي نحن فيه، عن طريق رغبة العالم الذي يتطور داخلنا كنتيجة لرغباتنا وحاجاتنا البيولوجية والنفسية».

والظاهر في هذه التعريفات أنها تعكس توجه أصحابها في الفكر وفلسفتهم في الحياة، وفهمها يستدعي الوقوف على ذلك الصراع الذي شهدته أوربا خلال العصور الوسطى بين رجال الدين المسيحيين والعلماء التجريبيين، إذ أبى هؤلاء السكوت على الاضطهاد الذي كانت تمارسه الكنيسة باسم الدين، فنشأ عن ذلك التمرد على السلطة الكنسية إعادة النظر في تصورات الكنيسة حول الأمور الدينية، وتعددت بذلك الاتجاهات في تحديد مفهوم الدين، فمن ناظر إليه من الجانب الفلسفي مثل كانط وديكارت وشلاير ماخر وغيرهم، ومن ناظر إليه من الجانب الاجتماعي مثل جوبلي الفييلا ودوركايم وميشيل ماير وجويوه وغيرهم، ومن ناظر إليه من الجانب النفسي مثل غوستاف لوبون وريفييل وفرويد وغيرهم... وإن تتبع هذه الاتجاهات سيفضي بنا إلى إدراك مدى الاختلاف الكبير بين هذه المدارس في تحديد مفهوم الدين، فنجد أنفسنا أمام تعريفات متنوعة ومتشعبة، وهي تعريفات لا تسلم من انتقاد ولا تخلو من مؤاخذات.

ولعلنا نجمع تلك التعريفات كلها في تعريف مناسب يكون جامعا قدر الإمكان بين المفاهيم التي قدمها جميع الدارسين لهذا العلم، مسلمين كانوا أم غربيين، يمكن أن ننطلق منه إلى نشأة الدين وعلاقة الإنسان بالتدين مستحضرين المعاني اللغوية التي سبق أن قررناها في مبحث التعريفات اللغوية لهذا الاصطلاح فنقول ببساطة: «إن الدين هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموع السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلا وحبّا، رغبة ورهبة» وهذا التعريف على وجازته فيه شمول للمعبود، سواء كان معبودا حقّا - وهو الله عز وجل - أو معبودا باطلا، وهو ما سوى الله عز وجل كما يشمل أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أولها أصل سماوي ووقع

1- هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي توفي سنة 1939م

فيها التحريف والتبديل كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوسية، والبوذية، وعموم الوثنيات كما يبرز التعريف حال العابد ؛ إذ لابد أن يكون العابد متلبسا بالخضوع ذلا وحبّا للمعبود حال العبادة ؛ إذ إن ذلك أهم معاني العبادة، ويبين التعريف أيضا هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معا ؛ لأن ذلك هو مطلب ابن آدم من العبادة[1] ». والله أعلم.

ثالثا : ضرورة الدين وحاجة الإنسان إليه

سبق أن قلنا إن الدين هوفطرة إنسانية فطر الله الإنسان عليها، إذ منه يستمد الإنسان ما يحقق له إشباعه الروحي وتوازنه النفسي، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فالدين من هذا المنطلق يعتبر حاجة اجتماعية، إذ يقدم للجماعة الإنسانية خدمة كبرى، تتجاوز ما يؤديه من تهذيب للسلوك وترسيخ لقيم العدل، ومقاومة للفوضى والفساد، إلى الربط بين قلوب معتنقيه داخل الجماعة برباط من المحبة والتراحم لا يعدله أي رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة، إذ كل هذه العلائق مجتمعة لا زالت تتخللها الثغرات والفجوات والحواجز النفسية، حتى تشدها رابطة العقيدة والتدين، كما أنها مرتبطة بالزمان والمكان والأشخاص، في حين أن رابطة الدين والعقيدة أوثق الروابط لتخطيها حدود الزمان والمكان، وهي ممتدة في أعماق التاريخ، تنبينا أن الدين يحل من الجماعة الإنسانية محل القلب من الجسد، وأن الذي يؤرخ للأديان،كأنما يؤرخ حياة الشعوب وأطوار المدنيات.

بهذه الكيفية اختلفت نظريات وآراء الغربيين في تفسير نشأة الدين، وذلك أن القناعات والمنطلقات والمناهج عند هؤلاء لم تكن واحدة.

---

1 ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية : لسعود بن عبد العزيز الخلف. ص : 11، وهذا التعريف قريب منه تعريف الدكتور محمد عبد الله دراز الذي اقترحه للدين، وهويشتمل على أركان الدين التي عرفناها عند المعالجة اللغوية للدين، فلتنظر هناك. أنظر غير مأمور أيضا كتاب «بحوث في مقارنة الأديان» للدكتور عبد الله الشرقاوي. ص :11

ولما نتقدم قليلا نحو الأديان التي يعتقدها الناس نجد أن الاختلاف أعمق وتحكمه نفس التصورات التي حكمت تفسير نشأته، وذلك عندما حاول الباحثون الغربيون إخضاع تقسيمات الأديان خلال مراحل تطورها، وفقا للنظرية التطورية التي تقول بتدرج الظاهرة الدينية من البدائية إلى أرقى درجات التحضر الإنساني، أو وفقا لمقاييس علم النفس وعلم الاجتماع، وفيما يلي نماذج لتقسيمات بعض الغربيين للأديان وفق هذه التصورات والمعايير :

1 - تقسيم (هيكل = Heguel)	2 - تقسيم (هارتمان = Harthman)
- دين أوجده الاجتهاد البشري فقط. - دين قائم على الظنون. - دين قائم على الإلهام والشعور. - دين قائم على التحري والتفكير. - دين قائم على الترانيم والرقص. - دين قائم على سفك الدماء والاضطراب الروحي - دين قائم على عبادة الأصنام. - دين قائم على الفراسة والتحليق في الفلسفة الغامضة.	- دين التوحيد الكاذب مثاله (دين هنود أمريكا). - دين الفناء المطلق مثاله (البوذية). - دين الدهرية وأشباه الدهرية مثاله (أديان روما القديمة). - دين الزهد مثاله (البرهمية). - دين الأوهام مثاله (الديانات الفرعونية).
3 - تقسيم (تييل = Tyels)	**4 - تقسيم (سيبرق = Sybreag)**
- دين عبادة البهائم(الحيوانات) المتعددة مثاله (ما كان شائعا في أوربا الشمالية). - دين المحبة والشياطين مثاله (ما كان شائعا في اليونان القديمة) - دين السحر والشعوذة مثاله (الديانات الرومانية القديمة). - دين عبادة الأشخاص مثاله (عبادة الشعوب الجرمانية).	- دين قائل بوجود صانع لهذا الكون - دين عبادة الانقياد لكل شيء حسن. - دين مطلق لا يعترف بخالق. - دين العقيدة الوسطى، وهوخليط بين وجود وعدم وجود مبدع للكون.[1]

1 - وحدة الدين : عبد الرؤوف شلبي ص : 64

أما بالنسبة للتصور الإسلامي للدين فهوواحد، وهو الدين المنزل من عند الله، وما عداه من الأشكال المختلفة للأديان ما هو إلا انحراف عن ذلك الأصل.

رابعا : مفهوم تاريخ الديانات

جدير بالذكر أن هذه التسمية لم تظهر إلا في القرن العشرين، مع تطور مجموعة من العلوم، ويمكننا أن نقول : إن تاريخ الديانات هو ذلك العلم الذي يوثق الوقائع والأحداث العقدية المتعلقة بحياة الأمم والشعوب، وحكاية ما يعظمونه من آلهة حقا كانت أو باطلا، وكذا ما يتقربون به إليها من اعتقادات أو أقوال أو أفعال تقديسا وتعظيما، ويلحق بذلك ذكر طوائف الموافقين والمخالفين لهم، على سبيل الحكاية والإخبار، لا من باب الاختلاف والحوار.

فخرج بقولنا «الوقائع والأحداث العقدية» تاريخ الوقائع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وخرج بقولنا «لا من باب الاختلاف والحوار» علم المناظرات الدينية، أو علم مقارنة الأديان.

خامسا : فوائد دراسة علم تاريخ الديانات.

لهذا العلم فوائد كثيرة باعتبار الدار س له، وعموما فأي دارس لهذا العلم فهويحقق من ورائه فوائد :

1 ـ فهم العالم الذي نعيش فيه، واعتقاداته المختلفة وثقافاته المتنوعة.

2 ـ الانفتاح على الآخر المختلف عقديا، والبحث عن السبل الكفيلة بإنجاح التواصل معه على أساس التقارب والتعاون على الخير والحق.

3 ـ معرفة ما يطرح على مائدة الحوار مع المخالفين في العقيدة وكيفية تدبيره في مجالس الجدال والمناظرة العقدية، وما لا ينبغي التعرض له إلا في مراحل لاحقة، أو ما يسمى عند المسلمين بفقه الأولويات.

4 ـ الاحتياط من وضع النفس في خطر الخوض في موضوع حقوله المعرفية تتقاطعها مسلمات ومحظورات بين المختلفين في العقائد، فما هو مباح عند أقوام قد يكون محرما عند آخرين.

5 ـ الوقوف على القواعد الكبرى التي تجمع الناس في تدينهم واعتقاداتهم، والتي يمكن اعتبارها مقياسا للنظر في تقارب الأفكار والمعتقدات أو تباعدها بين أتباع الأديان، وتبعا لذلك ما يمكن فتح حوار بشأنه وما لا يمكن.

ويمكن إضافة فوائد أخرى هذا العلم يجنيها المسلم من خلال المنظور العقدي والفكري الذي يحكمه منها :

1 ـ رصد وكشف المذاهب المنحرفة عن الصراط المستقيم وبيان أصولها، فذلك من الأمور المهمة التي ينبغي الاهتمام الجاد بدراستها، وإعطائها حقها من المتابعة والبحث، تحقيقاً لقول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1]، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان..فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها»[2].

2 ـ علم يورث عبادة الله عبادة صحيحة من خلال خشيته سبحانه وتعالى والعلم به، وكذا معرفة عظيم منه وكبير كرمه بما نحن عليه من الهداية، فنَحْذَر من الوقوع في معصيته فنُحرم هذه المنحة، قال تعالى :﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[3] فعبادة الله تعالى قائمة على هذا الأصل العظيم، وهو العلم ثم العبادة قال تعالى :﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ

1 ـ سورة الأنعام، الآية : 56

2 ـ الفوائد لابن القيم. ص 109-108.

3 ـ سورة النساء، الآية : 93

إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[1]
فلا عبادة إذا بدون علم.

3 ـ الحماية من الوقوع في الكفر والشرك، إذ معرفة طرق الخير وإتيانها، ومعرفة طرق الشر واجتنابها من أهم أبواب الدين، فقد ورد عن حذيفة بن اليمان أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[2] وقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنما تنقض عُرى الإسلام عـروةً عروةً، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[3]، ومن هنا كان قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومـن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

4 ـ النجاة من الفِتن؛ فلا نجاةَ من الفتن العقَدية إلا بتعلُّم المُعتقَد الصحيح. «أحاديث الفتن» فإنه لما جهل الناس هذه النحل والديانات وتاريخها، وقعوا فيها بخلاف من عرفها فتجنبها،لذا كان من أهم الموضوعات التي ينبغي أن يعنى بها أهل العلم وطلبته في هذا العصر،والتي هي من أحوج ما يحتاج إليه المسلمون بعامة،وطلاب العلم بخاصة، مسألة

---

1 ـ سورة محمد، الآية : 20

2 ـ صحيح البخاري كتاب الفتن. باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ج9 / ص51 (ح 3338)

3 ـ لم نعثر على هذا الأثر بهذا اللفظ، وإنما بألفاظ أخرى مقاربة، وإنما ذكره بهذا اللفظ ابن تيمية في المنهاج ج2 / ص398، وابن القيم في الداء والدواء ص214.

الأديان والمذاهب وتاريخها، سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه البدع وأخرجت أعناقها، وكثرت فيه الأهواء وسيطرت على الناس، وكثر فيه الخبث والنفاق، فوجب وجوبا عينيا في حق من يعلم أصول الشر أن يحذر الناس منه كما فعل أسلافنا من قبل.

5 - الحذر من إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفسد في الأرض وتفعل وتقول ما تريد : فإن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعوإلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد.

المبحث الثاني

نظريات في تفسير الظاهرة الدينية

نزعة التدين بين الأصالة والعالمية :

يعتقد علماء الأديان أن نزعة التدين أصيلة لدى الإنسان، وحسب تعبير معجم لاروس الفرنسي، فإن غريزة التدين مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وبدائية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هوإحدى النزعات العالمية الخالدة، فقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم ولا فنون ولا فلسفات، ولكن لم توجد قط جماعة إنسانية بغير ديانة. فالدين ظاهرة إنسانية عالمية شاملة : «وحيث يوجد الناس يسكن الدين» : **(Where ever people are found , there too Religion resides).**

ومما يؤكد هذا الأمر ويفرضه واقعا، ما يشاهد ويلاحظ من كون أكثر العواصم والحواضر، بل والقرى البدائية في العالم بأسره تتوفر على معابد مادية وثقافية، وأحيانا أهرامات، وآثار شيدها الناس بتكاليف باهظة لتعبر عن ديانتهم، بل إن الحفريات أكدت أن حقبة ما قبل التاريخ تشهد بوجود نقوش ورسوم وبقايا ذات طبيعة دينية، والحقيقة أنه لا توجد ظاهرة إنسانية أكثر انتشارا وعالمية من ظاهرة تطلع الإنسان نحوآلهته.

ورغم بداهة هذا الأمر، فقد ذهب مجموعة من مفكري الغرب إلى إنكار هذه الحقيقة، واعتبروا أن الدين هونتاج اللاوعي الجماعي، أو هو من إنتاج القوى والعوامل السياسية والاقتصادية، مما يفضي بنا إلى الحديث عن أصل الدين ونشأته، والكلام عن أبرز النظريات في هذا الباب وما يردها ويدحضها بعد قياسها بميزان العلم والمعرفة.

تقرر الدراسات الحديثة أن البشرية لم تحيَ يوماً من الأيام بلا دين، ولا وجد مجتمع غير متدين عبر العصور، فالدين بمعنى النزوع إلى الانقياد والاعتقاد في قوة متعالية مطلقة وتقديسها وعبادتها والاحتماء بها - نزعة فطرية يولد كل إنسان مزود بها ولا يتعلمها من

كتاب ولا حساب، وهي حقيقة يقررها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ولعل ذلك ما يفسر ظهور التدين، أو العاطفة الدينية لدى جميع الأسوياء من الناس، في كل زمان ومكان.

وإذا كنا نحن المسلمين نعتقد أن التدين الصحيح فطرة إنسانية فطر الله الناس عليها، فقد ظهرت بالمقابل عند غير المسلمين نظريات واتجاهات متعددة، في تفسير الظاهرة الدينية عند الإنسان، نعرض فيما يلي قسماً منها محاولين مناقشتها بموضوعية وبشكل مختصر بما يتلائم وطبيعة البحث متجنبين الإسهاب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

أوّلاً: نظرية الجهل: «الدين وليد الجهل بالمظاهر الطبيعية»:

ملخص هذه النظرية أن الإنسان القديم كان يتألم من تلك المظاهر الطبيعية، كالزلازل، والصواعق والفيضانات والسيول... إلى آخره. وهولا يعلم مصدرها وعلّتها وكيفية حدوثها. وحينما لم يستطع أنّ يعلل تلك الظواهر الطبيعية، وجهل أسبابها الحقيقية، اعتقد أنّ لكل ظاهرة طبيعية روحاً، وتبعا لذلك اتخذ من هذه الروح إلهاً. وعليه فإذا كان منبع الدين هوالجهل بحقيقة هذه الظواهر، فإنّه يزول قطعاً عند معرفة الأسباب الحقيقية لها، «ولما كان العلم الحديث القائم على أُسس التجربة العينية قد أزال النقاب عن كثير من أسرار الطبيعة ومجهولاتها، وعرّف الإنسان الأسباب الطبيعية لهذه الظواهر... فلم يعد هناك ما يبرّر الايمان بهذا المبدإ الغيبي، واستطاع العلم أن يحلّ بكفاءة محلّ التفسيرات الغيبية الميتافيزيقية. ومن معتقدي هذه النظرية «تايلر»[2]، و«سبنسر»[3]، و«راسل»[4].

---

1 - سورة الروم، الآية: 29

2 - تايلور: مهندس ميكانيكي أمريكي (1915–1856 م) له كتاب (المدنيات البدائية)، كان واحدا من قادة الفكر في حركة الكفاءة، وتعتبر أفكاره عالميا شديدة التأثير في الفترة التقدمية.

3 - كاتب مسيحي أمريكي مشهور بنقده للإسلام ورسول الإسلام والشريعة الإسلامية، له مقالات وآراء سعى من خلالها إلى نشر شبهات فكرية وعقدية تزرع الكراهية وتنشر التضليل والعنصرية ضد المسلمين، لازال حيا.

4 -برتراند راسل: 1872 : Bertrand russell - 1970 م فيلسوف وعالم منطقي ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي من مؤلفاته: «لما لست مسيحيا» «الدين والعلم».

النظرية في ميزان النقد العلمي

نظرية الجهل هذه لا تصمد أمام النقد لأن الدين حسب هذه النظرية لابد أن يزول بالعلم والمعرفة بالأسباب والمسببات للمظاهر الطبيعية، وأصحابه لا يستطيعون تقديم برهان واقعي لفكرتهم، خصوصا مع وجود أناس يزدادون تديناً كلما ازدادوا علماً، بل إن العلماء أكثر تديناً من الجهلاء، وما ذلك إلاّ لكون العلم لا يؤدّي إلى الالحاد، في أيّ عصرٍ من العصور، فالعالم المنقّب عن الحقائق يجد في هذا الوجود عالماً لا حدود له، يسوده نظام محكم دقيق، بلا فوضى ولا اختلاف أو تخلف، فلا يلبث بعد النظر والتأمّل أن يقع ساجداً لله، الّذي أوجد هذا الكون العظيم، وما يحمل من أسرار وحقائق.[1]

1- ورد في كتاب روح الدين الإسلامي : ص 84 للدكتور عفيف طبارة نقولا عن علماء غربيين ذكر منهم بحثا للدكتور «ديزت «فقال» نشر الدكتور - ديزت - الألماني بحثاً حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء، الذين أناروا العقول في القرون الأربعة الأخيرة، وتوخّى أن يدقّق في معرفة عقائدهم، فتبين له من دراسة (290) منهم ما يلي : 1) - 28 - منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما. 2) - 242 - منهم أعلنوا على رؤوس الأشهاد الإيمان بالله. 3) - 20 - فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية، أو ملاحدة.

وبعد هذا، فهل تصح هذه النظرية الّتي توعز علة نشوء الدين إلى الجهل بالظواهر الطبيعية ؟! وتأكيداً على خطأ هذه النظرية، ننقل هذه الطائفة المختارة من أقوال أكابر العلماء الغربيين، والتي تؤكد بأنّ الايمان بالله لا يتعارض مع العلم مطلقا :

أ- يقول العالم الكبير - باستور - والذي جعل أصحاب هذه النظرية اكتشافاته البيولوجية تقوم مقام الايمان بالله تعالى :«الايمان لا يمنع أي ارتقاء كان ؛ لأنّ كلّ ترق يبين ويسجل الاتساق البادي في مخلوقات الله، ولوكنت علمتُ أكثر مما أعلم اليوم، لكان إيماني أشد وأعمق مما هوعليه الآن،... إنّ العلم لا يمكن أن يكون ماديّاً، ولكنه على خلاف ذلك يؤدّي إلى زيادة العلم بالله ؛ لأنّه يدلّ بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصّر وكمال عقل الحكمة الّتي خلقت النواميس المدبّرة للوجود».

ب- يقول العالم الكيمياوي - وتز - : - «إذا أحسست في حين من الأحيان أنّ عقيدتي بالله قد تزعزعت، وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها».

ج- يقول الفلكي الكبير - فاني - : «من الخطإ القول بأن العلم يُفضي بصاحبه إلى نكران وجود الله».

د- يقول الجيولوجي الكبير - مون هدبرت - : «العلم لا يمكن أن يؤدّي إلى الكفر، ولا إلى المادية، ولا يفضي إلى التشكيك».

هـ- وقال العلاّمة والمؤرخ الطبيعي - فاير - : «كل عهد له أهواء جنونية، فإنّي أعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية، وهومرض العهد الحالي، وأيسر عندي أن ينزعوا جلدي، من أن ينتزعوا مني العقيدة بالله» (1). وقد سئل الدكتور - أندروكوانواي إيفي - من قبل أحد رجال الأعمال هذا السؤال : سمعت أنّ معظم المشتغلين بالعلم ملحدون، فهل هذا صحيح ؟! فأجاب الدكتورَ قائلاً : «إنني لا أعتقد أنّ هذا القول صحيح، بل إنني على نقيض ذلك، وجدت في قراءتي ومناقشتي أنّ معظم من اشتغلوا في ميدان العلوم من العباقرة لم يكونوا ملحدين، ولكن الناس أساءوا نقل أحاديثهم، أو أساءوا فهمهم» مقتبس من كتاب :«الله يتجلى في عصر العلم - تأليف جون كلوفر : 152».ولوأردنا إحصاء التصريحات

ثانياً : نظرية الخوف «الدين وليد مخاوف إنسانية»

هذه النظرية كسابقتها غير أنها تفسر التدين بشعور الخوف عند الإنسان سواء من بني جنسه أو من الظواهر الطبيعية، أو الحيوان، فالتجأ إلى الاستعانة بقوة غيبية يستمدُّ منها المدد والمساعدة، تعينه على التخلص من هذه المخاوف بالتغلب عليها أو طرحها. وفسر أيضا أن سبب هذه الظواهر الطبيعية تلك القوة الخفية التي تغضب عليه فتعاقبه تبعا لذلك بتلك الكوارث التي يعاني منها في حياته، لذلك ونتيجة خوفه منها يتجه إليها بالعبادة والخضوع، ومن هنا نشأ الدين[1].

النظرية في ميزان النقد العلمي :

أصحاب هذه النظرية استدلوا لنظريتهم هذه بتشبيه المتدين بالساحر، وربطوا في مقارنة عجيبة بينهما للتخلص من غضب الطبيعة، وهو ربط مجحف، للفارق الكبير بين الاثنين، فالمرتبة التي يقف فيها الساحر مع القوى الخفية التي يدعوها ويتصورها يمكن أن يتطاول عليها ويسخرها لصالحه، وقد يرى لنفسه من العلو والسلطان على تلك القوى بوسائله الخاصة، ما يستطيع به أن يقتنصها، ويخضعها لأوامره، ويسخرها لرغباته، في حين يقف العابد من معبوده موقف الخاضع المتواضع، الساعي في إرضاء سيده المشفق من غضبه وسخطه. فالفاصل الأخير الّذي يتم به تصوير القوة التي يؤمن بها المتدين، أنها قوة علوية قاهرة، غير مقهورة، يخضع هُوَ لَهَا وَلاَ تَخْضَعُ لَهُ.

التي أدلى بها العلماء في إثبات وجود الله تعالى، وضرورة وجود الدين، لتطلّب ذلك مئات الصفحات. وبعد هذه الأقوال الّتي صدرت من أساطين العلم وعباقرته، هل يسع أصحاب نظرية الجهل أن يتحفونا بتعليل لهذه الأقوال، أو يأتونا بدليل أقوى من ادعائهم السابق ؟

1 - ومن القائلين بهذه النظرية - اك برن وليم كف - في كتابه - مبادئ علم الاجتماع - حيث يقول : - لقد كان الدين يشبه السحر إلى حد كبير في المراحل المتقدمة من تاريخ الإنسان، فإن الساحر والمتدين كانا يعملان معاً في إرضاء الطبيعة الساخطة، وتوفير الأمن لأنفسهم -. ومن هؤلاء أيضاً (برتراند راسل) - الفيلسوف الانجليزي المعروف، الذي يقول : - في عقيدتي، أن الإقبال على الدين والتدين في تاريخ الإنسان، ينشأ عن الخوف، فإن الإنسان يرى نفسه ضعيفاً إلى حدّ ما في هذه الحياة.. وعوامل الخوف في حياة الإنسان ثلاثة : أولاً - فهو يخاف من الطبيعة الّتي قد تحرقه بصاعقة من السماء، أو تبتلعه بزلزال في الأرض تحت قدميه. ثانياً - يخاف من الإنسان الّذي قد يسبب له الدمار والخراب والهلاك، بما يثير من حروب. ثالثاً - يخاف من شهواته الّتي قد ينجرف معها، وتتحكم في سلوكه، وتفوّت عليه ما يندم عليه من ساعات استقراره وهدوئه. ويكون الدين سبباً في تعديل هذا الخوف والرعب، والتخفيف منه المرجع السابق نفسه ص :74

أصحاب هذه النظرية أيضا يعترفون أن في الإنسان بعدين هما : الجانب الغريزي، والجانب الإنساني العلوي كما يقولون «الروحي»، والذي منه استمدّ فكره وشخصيته. وفسروا تدينه من الجانب المادي فقط، ويطرح عليهم السؤال، من أين يصدرتدين الإنسان بسبب خوفه ؟ هل من جانبه الروحي العلوي، أم من جانبه الغريزي الحيواني ؟ فإذا كان الثاني، فلماذا لا نرى هذا الشعور لدى الحيوانات، على الرغم من الاشتراك ما بين الحيوان والإنسان في هذا البُعد وهذا الجانب ؟

وإذا كان الأوّل ـ وهوالجانب الروحي ـ فلماذا لا يكون الوازع الديني، والانشداد إلى عالم الغيب صادراً منه، كأيّ نتاج إنساني آخر، كالفن والفكر والصناعة وغيرها ؟ فلماذا يريد أصحاب هذا الاتجاه أن يسلبوا من الإنسان الأوّل حتّى التفكير الّذي يميزه عن الحيوان ؟!

ويرتبط بالسؤال الأول سؤال آخر وهو : هل الالتجاء إلى الله تعالى، والاطمئنان به، تخلّصاً من الخوف الناشيء من الاختلاف أو الكوارث، فيه ما يعيب ؟! وماذا يقول أصحاب هذه النظرية عندما يقرأون آخر الأبحاث النفسية التي تؤكد أن الإيمان بالله تعالى علاج ناجح جداً، للتخفيف من المعاناة والعقد النفسية، الناتجة عن الكوارث وغيرها ؟

إنّ التوجه إلى الله تعالى في حالة الخوف ليس فيه ما يعيب، لأنّه من فطرة الإنسان، التي فطرها فاطر السموات والأرض، ثمّ إن الالتجاء إلى الله تعالى في حالات الخوف لا يكون دليلاً على أن وجود الوازع الديني عند الإنسان هونفسه الخوف، وإنما يكون ذلك السلوك من الإنسان دليلاً على أنه لو لم يكن الإنسان قد آمن بهذا الخالق العظيم في طيات نفسه وضميره، واعتقد ذلك بما لا يقبل الشك، لما كان قد تعلق قلبه في وقت الشدة والخوف به، حيث لا منجي إلاّ هولأن الإنسان قد يعتريه التكبر والجحود، لا لكونه ليس مؤمناً في واقع فطرته، وإنما بسبب نزعة التمرد عنده، وهذا ما يشير إليه القرآن صريحاً بقوله :

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[1]. وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلإِنسَـٰنُ وَكَانَ ٱلإِنسَـٰنُ﴾[2].

إذاً فالإنسان الذي يلتجئ في حالات الخوف إلى الله «إنما يكون تصور الخوف سبباً للانتباه إلى وجود الإله الخالق عبر ذلك الإذعان الفطري، وذلك البرهان العقلي، لا سبباً موجداً له في الذهن، وهناك فرق بين كون الشي داعياً إلى أمر بسبب ملازمة عقلية أو عرفية بينهما، وبين كون الشيء موجداً لذلك الأمر في رحاب الذهن ومبدعاً له، والصحيح في المقام هو الأول دون الثاني»[3].

ثالثاً: النظرية الطوطمية:

يرى بعض الباحثين أن خير وسيلة لتفسير التدين كظاهرة معقدة، هو دراسة بداية نشأتها قبل مخالطتها عناصر غريبة عنها، ويكون ذلك بالرجوع إلى بيئات الأمم البدائية، وهي عند هؤلاء الباحثين تلك التي تقوم على نظام القبيلة والفصيلة والعشيرة[4].

ومن المعروف عن هذه الأمم أن العشيرة «وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات» قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها، وهو لقب يشتق ـ في الغالب ـ من أسماء البهائم «الحيوانات»، أو النباتات، وفي النادر من أسماء عناصر من الجمادات أو الكواكب، وتعتقد العشيرة أن هناك صلة تربطها به، ولذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها وأدواتها وأسلحتها وراياتها، بل يتخذ الأفراد منه وشما يطبعونه على أجسامهم كأنه بطاقة شخصية لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته.

هذا النظام يسمى نظام «الطوطم = **TOTEM**» أو اللقب الأسري، وهو نظام معروف في الشعوب القديمة: المصرية، والعربية، واليونانية، والرومانية... وتوجد آثار منه في الأساطير الشعبية حتى اليوم، فلا يزال منتشرا في القبائل غير المتحضرة في أمريكا وأستراليا، وهذه

---

1 ـ سورة النمل،الآية: 14

2 ـ سورة الكهف، الآية: 53

3 ـ الله خالق الكون، جعفر الهادي ص34.

4 ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان / الدكتور عبد الله دراز ص151

الأخيرة كانت أخصب مكاناً لدراسة هذا النظام عند الباحثين في بداية القرن العشرين، لأن سكانه أقل تطورا وأقرب إلى الطبيعة البدائية من غيرهم.

ولما كان الاسم مشتركا بين الحيوان وبين الجد الأعلى وبين أفراد القبيلة، شمل التعظيم الثلاثة، ولكن الحظ الأكبر من التعظيم هو للقب المشترك، أو لتلك الصورة أو النقش أو الرسم، أو الصنم، ويأخذ التدين حقيقته عند هؤلاء في مواسم خاصة، تقام فيها الحفلات، ويطلق فيها العنان للكل، أو للجميع، للتعبير عن خضوعهم وعبادتهم وتعظيمهم للروح التي يرمز إليها رمز القبيلة.

النظرية في ميزان النقد العلمي :

هذه النظرية هي امتداد للنظرية الطبيعية، وقد سبق مناقشة هذه الأخيرة بما يغني عن البيان والتفصيل في هذا المقام.

رابعا : النظرية الماركسية «الدين إيديولوجية بورجوازية للتحكم في طبقات الشعب»

ظهرت هذه النظرية في أوربا خلال القرن الثامن عشر، في إطار ما يسمى الصراع الطبقي بين مالكي وسائل الإنتاج والعمال داخل المجتمع، فتذهب الماركسية[1] في تفسيرها للظاهرة الدينية، إلى أن الدين من صنع الطبقات البرجوازية التي سيطرت على رؤوس الأموال، وامتلكت الأراضي ووسائل الإنتاج واتخذت من الدين وسيلة لتخدير العمال والفلاحين، لئلا يقوموا بثورات تحررية ضدهم. فالدين وليد حاجة الطبقة البرجوازية وذلك للإبقاء على الفوارق الطبقية في المجتمع عن طريق خداع الكادحين بجرعات الأمل

---

1 نسبة إلى كارل ماركس وهو فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري، أدت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر أحد أكبر الاقتصاديين في التاريخ. ولد في (مايو 1818 م - 14 مارس 1883 م). لعائلة غنية من الطبقة الوسطى في مدينة ترير في راينلاند البروسية، كان أبوه في بداية حياته يهوديا اسمه «هرشل»، ثم تنصر وغير اسمه إلى «هنريخ»، وقد أشار بعض المؤرخين أن تبديله لدينه كان حيلة اقتصادية ليستطيع كسب قوته في مجتمع نصراني، وقد أرجع بعضهم نظرة ماركس إلى الدين «من أنه حيلة ووسيلة للعيش من خلال خداع الناس» إلى هذه الحادثة بالإضافة إلى الجو العام الأوروبي. وماركس هو حفيد الحاخام «مردخاي ماركس» اليهودي، ولذا فان بعض علماء التاريخ يرى أن الماركسية هي تفسير يهودي للتاريخ، ورؤيا توراتية تلمودية للحياة والناس. أُنظر موسوعة ويكبيديا الحرة.

الكاذب، واليأس من السعادة في هذه الدنيا، من خلال شدّهم إلى عالم الوهم والخيال وهو عالم الآخرة.

ومن هنا جاءت قولة كارل ماركس المشهورة : «الدين عبارة عن أنين كائن بائس وقلب عالم قاسٍ، وروح وجود لا روح فيه، الدين أفيون الشعوب. إن اختفاء الدين الذي هو بمثابة سعادة الناس الوهمية، يعتبر من مقتضيات سعادتهم، إننا نريد أن نهبَ الناس سعادة حقيقية، فلا بدَّ من أخذ هذه السعادة الوهمية منهم،... وعليه فإن انتقاد الدين يعني - حتماً - انتقاد بحار الدموع الّتي يؤلف الدين هالة حولها...»[1].

النظرية في ميزان النقد العلمي :

لا تحتاج هذه النظرية إلى كبير عناء لنقضها، ففيها من الخواء والهزل ما يجعلها عديمة القيمة، فهي خالية من الحياد العلمي لارتباطها بصراع ديني وسياسي واقتصادي واجتماعي عرفته أوربا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أدى إلى موجة من الإلحاد، لكون هذه النظرية تضع جميع الأديان في كفة واحدة، ونظرت من خلال الفساد الديني الذي عرفته الكنيسة إلى جميع الأديان، وعممت حكمها، وإلا فإن دين الإسلام ينقض بعقيدته وتعاليمه ما ذهب إليه ماركس عند محاكمته للدين والتدين، كما أن علوم الآثار والانثروبولوجيا أكدت أن الدين متأصّلٌ في الوجود الإنساني، من خلال ما أظهرت الآثار الصحيحة للحضارات البالية، وتلك النقوش التي وجدت على جدران الكهوف، بما لا يقبل الشكّ، وأن الدين والتدين موجود.

إن نظرية ماركس يمكن إدراجها ضمن النظرية الاجتماعية التي ترى بأن التدين هو وليد أسباب اجتماعية، وأن عقل الجماعة هو الذي يخلق الأديان ويبرزها إلى الوجود، ومن أبرز رواد هذا الاتجاه عالم الاجتماع الفرنسي إيميل دور كايم، وواضح من هذه النظريات الغربية أنها تحاول تفسير الدين انطلاقا من القول بأن العقيدة الدينية قد يتوصل إليها الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية، سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية، أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية أو اللاشعورية.

1 - الأيدي العاملة وصراع الطبقات والوعي الزائف : لكارل ماركس. أُنظر موسوعة ويكيبيديا الحرة.

المبحث الثالث

ديانات العالم وتصنيفاتها

نظرا لتعدد الديانات وكثرتها، واختلاف فرقها ومذاهبها وتشعبها، سعى الباحثون في الديانات إلى وضع ضوابط علمية يتم على أساسها تصنيف الديانات وتـقسيمها فيما يشهده عالم اليوم، فوضعوا بحسب مناهجهم في الدراسة تصنيفات متباينة لتوضيح علاقة الديانات بعضها ببعض، وكذا عوامل التأثير والتأثر فيما بينها، و لم تكد تخلوإحدى هذه التصنيفات من انتقاد وجه إلى أصحابها، مما نتج عنه تقسيم هذه التصنيفات إلى نوعين كبيرين هما :

1 ـ تصنيفات غير علمية للديانات :

والمقصود بها تلك التي لا ترتبط بأحد العلوم المعروفة، وغايتها أنها مجرد نظريات، قسم أصحابها على أساسها الأديان.

2 ـ تصنيفات علمية للديانات :

وهي مرتبطة بأحد العلوم المعروفة، مثل علم التاريخ أو علم الجغرافيا أو موضوع الدين... إلخ، وفيما يلي بيان لكلا القسمين، نقدم فيه الحديث عن التصنيفات غير العلمية، قبل الكلام عن التصنيفات العلمية، لما في هذا الترتيب من فائدة ربط هذه التصنيفات بالديانات التي سنقدم دراسة وصفية تاريخية لكل منها، وفيما يلي نشرع في بيان المقصود :

1 ـ التصنيفات غير العلمية للديانات :

وهي كثيرة سنقتصر على ثلاثة تصنيفات منها، وهي كما يلي :

أ ـ تصنيف الديانات إلى حية وميتة : وضابطه أن الدين الذي لا زال مستمرا في وقتنا هذا وله أتباع ومعتنقون له في زماننا هذا، هو دين حي، وأما ما انتفى من الوجود واندثر، و لم يعد له ذكر إلا من خلال المصادر التاريخية، فهو دين ميت.



ومما يرد على هذا التصنيف من اعتراضات :

إن من نقائص هذا التصنيف أنه يصور الديانات تصويرا عضويا، فالدين لا يموت موتا حقيقيا كما تموت الكائنات العضوية، فمفاهيمه تنتقل من دين إلى دين، وخصوصا داخل المجموعة الدينية الواحدة التي تنتمي إلى أصل واحد، ثم من خلال قاعدة التأثير والتأثر تبقى الأفكار الدينية، وتعيش رغم انتهاء الدين الذي تنتمي إليه أصلا في التاريخ، ذلك أن الديانات تشتمل على مفاهيم قابلة للانتشار، وعادات وتقاليد وطقوس وشعائر تنتقل من دين إلى آخر، وتظهر في أشكال جديدة، يمكن القول معها بأن هذه الديانات لازالت حية،ولم تمت بشكل نهائي، وإن تعرض دينها الأصلي للانحلال والتدهور، ومن نقائص هذا التصنيف أيضا أنه يلغي مسألة التأثر والتأثير التي هي أمر واقع معروف، فوجود التشابك والتداخل الفكري والاعتقادي بين مجموعة من الديانات والفرق ذات الأصل الواحد هو حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها، مما يجعل من الصعب الحكم على إحدى هذه الديانات بالموت والنهاية ذلك أن عقائده وتعاليمها موجودة ومستمرة من خلال دين آخر أو فرقة أخرى من داخل مجموعتها الدينية.

ومن الأمثلة الواضحة على ما سبق، الفكر الديني الهندي القديم، السابق على الهندوسية البراهماتية، فهو لم يمت تماما، بل هوموجود مستمر في الهندوسية وفي البوذية وفي الجينية، ويمكن تفسير ما حصل بأن التفكير البدائي انتقل بعد الدخول في العصور التاريخية إلى الحضارات التاريخية التي قامت بتنظيم هذا الفكر، وتقعيده وإطلاق مسميات عليه، وتحديد طبائع الآلهة، وتنظيم العبادة حولها في المعابد والهياكل، وتحديد الشعائر والطقوس تحديدا دقيقا، فأصبح الدين البدائي له نظام معين في ظل الحضارات التاريخية.

إن هذا التنظيم المرتبط بالعصور الحضارية الجديدة، لم يحدث قطيعة مع هذه الديانات القديمة، دليل ذلك أن المفاهيم الدينية البدائية، لازالت مستمرة، وعبادة الطبيعة كما كانت عند البدائيين، لازالت مستمرة «لكن بأشكال أخرى»، والايمان بقوى الطبيعة لا زال مستمرا ولم ينته من الوجود، ويقتصر التغيير فقط على شكل الطبيعة وتنظيمها وقواها

وظائفها، والانتقال بها من حالة الفوضى في ذهن البدائيين، إلى عملية تنظيم الكون وقواه المختلفة، بما يناسب درجة الرقي الحضاري التي نمت في العصور التاريخية.

ومجمل القول إن تصنيف الديانات إلى حية وميتة تصنيف بعيد عن الموضوعية وغير علمي، فهولا يتصف بالدقة، ذلك أن الديانات تتصف بالتأثر والتأثير من خلال اتصالها في التاريخ، كما يرث بعضها بعضا، من خلال حركة انتقال المفاهيم الدينية من دين سابق إلى آخر لاحق، والديانات التي انتهت أدخلت مفاهيمها في الديانات التي بعدها، ولذلك فمن الصعب الحكم على بعض الديانات بأنها ميتة.

ب ـ تصنيف الديانات إلى طبيعية وغير طبيعية : وهذا تصنيف يعتمد على فصل الديانات الطبيعية ـ أي التي تستمد فكرها الديني من الطبيعة ـ «المدرسة الطبيعية»، عن الديانات التي تركز على الفكر الغيبي «ماوراء الطبيعي» ـ الميتافيزقي ـ.

ومن الاعتراضات التي ترد على هذا التصنيف :

هذا الفصل بين الديانات فصل تعسفي وغير موضوعي، لأن الديانات عادة ما تنظر إلى الوجود أو الكون نظرة كلية، وتتصوره تصورا شاملا يجمع بين عالم الطبيعة وما وراء الطبيعة، حتى وإن وجد التركيز في إحدى الديانات على أحد العالمين، فإن ذلك التركيز لا يلغي العالم الآخر، فالديانات البدائية مثلا، ديانات طبيعية ارتبط فيها الإنسان بالطبيعة، واعتبر نفسه عنصرا من عناصر الطبيعة المادية المحسوسة، ومع ذلك لم ينفصل هذا الإنسان رغم تفكيره البدائي عن عالم ما وراء الطبيعة، ولم يسمح له مستواه العلمي أو الفكري بالاستقلال فكريا عن الطبيعة، ومع تقدمه العلمي في التاريخ بدأ فكره الديني يستقل تدريجيا، ويتحول من فكر ديني طبيعي مرتبط بالأرض، إلى فكر ميتافيزيقي.

وبهذا التحول والاعتماد على مصدر خارجي للمعرفة الدينية، أصبحت الطبيعة، موضوعا للتأمل والتفكر، وتحولت بعد معرفة التوحيد إلى كائن مخلوق، وتغير وضعها في الفكر الديني، فبعد أن كانت موضوعا للتقديس والعبادة في شكلها الكلي، أو في عناصرها

المتعددة، أصبحت من مخلوقات الله، وتم تحديد علاقتها بالإنسان على أساس وضع جديد، أصبح فيه مستخدما لها ومستغلا لإمكاناتها بعد أن كان عابدا لها، وأصبحت الطبيعة مسخرة للإنسان، له السيطرة والسيادة عليها.

جملة القول في هذا التصنيف إن موقف الإنسان من الطبيعة مرتبط بدرجة التقدم الفكري عنده، ومدى قدرته على فهمها وكشف أسرارها، فكلما تعمق في ذلك قلت درجة قداستها عنده، فمثلا الإنسان البدائي، كان له تفسير معين للزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية، وأن ذلك غضب للآلهة، فينبغي إرضاؤها بتقريب القرابين لها، لكن بعد فهمه للأسباب قلت قداستها في نفسه، واحتلت وضعها الطبيعي في الفكر الديني، والعالم واحد بشقيه، الطبيعي والماوراء طبيعي، إذ هما معا موضوع للتفكير الديني، وإن حدث ميل لأحدهما في بعض الديانات دون الآخر، فلكل دين موقف ورؤية وتصور، مما يجعل قسمة الأديان إلى طبيعية وما وراء طبيعية فيها كثير من التعسف.

ج- تصنيف الديانات إلى حقة وباطلة : وضابط هذا التصنيف أنه ينطلق من الرؤية النقدية أو التقييمية للديانات، وتبعا لذلك الحكم عليها بالصحة والبطلان، أو الخطأ والصواب.

ومن الاعتراضات التي ترد على هذا التصنيف :

هذا التصنيف ذاتي ويخضع لرؤية مذهبية معينة، وهوعادة ما يكون تصنيفا يقسم الديانات إلى دين واحد حق ومجموعة ديانات باطلة، فالمتبني لهذا التصنيف يرى أن دينه هو الحق، بينما بقية الديانات باطلة، وزائفة وغير حقيقية، ولذلك فهو تصنيف نسبي ينتهي بالحكم على كل الديانات بالصحة، وبأنها باطلة في الوقت نفسه.

هذا التصنيف أيضا تتحكم فيه العصبية والتحيز لإحدى الديانات على حساب الأخرى، وذلك بحسب عقيدة المحكم أو المُقيِّم للديانات، بل إن هذا التعصب قد نجده داخل الدين الواحد بله غيره من الأديان، فالدين الذي ينقسم إلى عدة فرق داخلية، يطرح مسألة الانتماء

إلى هذه الفرق، فنجد أن المنتمين إلى كل فرقة ما، يعدون أن فرقتهم على الدين الصحيح، بينما بقية الفرق على الباطل.

ولنسبية هذا التصنيف وتحيزه فمن الصعب الأخذ به كمقياس لتصنيف الديانات، فالديانات جعلت للوصول إليها كما هي في تاريخ الديانات باعتبارها دراسة وصفية لحقائق تاريخية، كما أن الديانات متصلة بعضها بالبعض مما يجعل لكل دين منها نصيبا من الحقيقة، وهي في تطورها تخضع لمؤثرات قد تبعدها عن الحقيقة، وداخل المجموعة الدينية الواحدة تتوزع هذه الحقيقة وتكثر الادعاءات حولها، والنتيجة النهائية لذلك، أن كل الديانات محكوم عليها بالصحة أو بالبطلان، وهو حكم لا يتناسب مع عملية التأثير والتأثر بين الديانات، فيؤدي ذلك إلى اشتراكها كلها في الحقيقة واختلافها عليها.

د ـ التصنيف الإحصائي: وهو تصنيف يقسم الديانات بحسب أعداد المؤمنين بها والتابعين لها، وهوتصنيف ينظر إلى الديانات نظرة الأرقام والأعداد، فيرتبها بحسب أهميتها انطلاقا من العدد الأكبر إلى العدد الأقل.

ومن الاعتراضات التي ترد على هذا التصنيف:

أن هذا التصنيف نسبي متغير، لأن أهمية الديانات وقيمتها لا تقاس بعدد أتباعها، فهناك ديانات على قدر كبير من الرقي والتقدم الديني؛ ولكن أتباعها قليلون، لأسباب تتعلق بأصحاب الدين أنفسهم مثل وضعهم لقيود تحول أو تُصعِّب التحول إلى دينهم، فيمنعون انتشاره. فالديانة اليهودية وهي ديانة توحيدية راقية بالنسبة إلى الديانات الوثنية، حولها أهلها إلى ديانة قومية خاصة باليهود دون غيرهم، فمنعوا انتشارها، فقل عدد التابعين لها.

وبالمقابل هناك ديانات كثيرة الأتباع، ولكنها قليلة القيمة الدينية، ومتدنية في فكرها الديني، «فالهند مثلا أمة كبيرة، لكنها تعبد الفئران والأبقار»، والأمر نفسه بالنسبة للديانات البدائية المنتشرة في القارة الإفريقية وآسيا وأمريكا الجنوبية وأستراليا.

ومما يؤخذ على هذا التصنيف أيضا ما يلي :

• إن الديانات تخضع لمسألة التأثير والتأثر، ولا تخضع لمعيار القلة أو الكثرة، فهناك ديانات قليلة العدد في أتباعها كبيرة التأثير الديني. مثال ذلك : الديانة الزارادشتية، التي تركت تأثيرا دينيا في كل من المسيحية واليهودية، والأمر نفسه بالنسبة للديانة اليهودية التي أثرت بشكل كبير في المسيحية. وهذا الأمر يظهر بوضوح في مجال الدراسات الدينية المقارنة.

• المشاكل العديدة المرتبطة بدقة الإحصاء، ما يمنع تحديد عدد التابعين للديانات.

• التعصب الديني الذي يؤثر على عملية الإحصاء، فتظهر إحدى الديانات في صورة الدين صاحب أكبر عدد من التابعين، على حساب الديانات الأخرى، وهو وضع الإحصاءات الغربية التي تجريها المؤسسات الغربية، وتنسب إلى المسيحية دائما أعدادا أكبر من أي دين آخر.

• تعارض المعطيات الإحصائية بين هذه المؤسسات، والمؤسسات الأخرى التابعة لجهات بحث أخرى ذات ديانات مختلفة مما يفضي إلى التناقض أحيانا بين هذه النسب، والتناقض يشكك في صحة الأرقام.

• عدم وفرة الإمكانات التي تسهل عملية إجراء إحصاء، وخاصة في دول العالم الثالث. فلا يمكن الاعتماد كليا على الإحصاءات الغربية التي رغم التقدم العلمي فإنها متحيزة دائما إلى الديانة المسيحية، بمذاهبها المختلفة، وتتعمد الخطأ في أعداد الديانات الأخرى.

• تداخل بعض الديانات والفرق واختلاطها ببعض مناطق العالم يُصعِّب حصر المنتمين إلى كل دين وفرقة على حدة، خصوصا إذا كانت هناك قرابة دينية بين الديانات والفرق الموجودة، مثاله : شبه القارة الهندية التي تزخر بالفرق والجماعات المتقاربة في أفكارها

ومفاهيمها الدينية. والأمر نفسه يصعب مع بعض الديانات ذات الطابع التلفيقي[1]، مثل: القاديانة والبهائية[2].

• استقلال بعض الفرق الدينية داخل الدين الواحد استقلالا تاما على مستوى المذاهب والاعتقادات، فتتعامل معه الإحصاءات تعاملا مستقلا، وهذا وضع الأرثوذوكسية والكاثوليكية والبروتستانية داخل الديانة المسيحية، وكذلك بعض الفرق اليهودية كفرقة السامريين والقرائين الذين لا تعترف بهم اليهودية، فلا تدرجهم الإحصاءات اليهودية ضمن أعداد المنتمين إليهم.

• مسألة الانتماء الشكلي إلى بعض الديانات، وهي قضية واضحة جدا في الغرب، ففي الاتحاد السوفياتي المنحل، كما في أوروبا وأمريكا الشمالية، انتشرت في صفوف القوم العلمانية والإلحاد وتركت الغالبية العظمى المسيحية واليهودية، وتحولت إلى جماعات علمانية ترفض الدين، وتعتبره أمرا شخصيا يخص الإنسان.

ورغم هذه الحقائق فإن الإحصاءات الغربية تعمد إلى المغالطة من خلال إدراجها لكل هذه الأصناف والجماعات فتدخلها ضمن المعتنقين للمسيحية، وتحصي الغرب بأكمله باعتباره مسيحيا.

وترتبط بهذا أيضا مسألة تحديد الانتماء الديني الحقيقي، فقد تنصَّر أعداد كثيرة لدواعي مادية متعددة «كالمساعدات وغيرها...»، لكنهم لا يفهمون المسيحية، ولم يدخلوها عن فهم ولا اقتناع.

1 - من الديانات التلفيقية السيخية: وهي ديانة وضعية أرضية، جمعت عناصرها من الثقافة الهندوسية ومن الدين الإسلامي، وقد رامَ واضعها جمع المسلمين والهندوس على دين واحد، خرج على الناس ذات يوم وهويقول: «لا مسلمون ولا هندوس» فطرده هؤلاء وهؤلاء، فشكل هو وأتباعه دينًا جديدًا سمي الديانة السيخية. واسمه غوروناناك، ولد سنة 1469، «هندوسي المولد والديانة» ومن العقائد التي يدعوإليها: التوحيد - وحدة الوجود - تحريم عبادة الأصنام وصناعتها - التناسخ - إباحة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير - النبوة والرسالة... فهذه الديانات تجمع في ثناياها الدينية بين مفاهيم عدة، تخلط معظمها بين معتقدات يهودية ومسيحية وإسلامية وهندوسية وبوذية، بحيث يكون من الصعب الحكم على هويتها الدينية إذ تتنازعها عدة أديان...

2 - البهائية: مذهب أسسه بهاء الله مزرا حسين علي نوري، ولد بطهران سنة 1817 م، مات في فلسطين، شيعي المعتقد، أعلن سنة 1867م أن العناية الإلهية اختارته ليكون الإمام المهدي، طور مذهبه الذي يدعوإلى وحدة الأديان والأخوة بين البشر، والأخلاق الاجتماعية. انظر كتاب البهائية إحدى مطايا الاستعمار والصهيونية، لمؤلفه: عبد القادر شيبة الحمد

• عامل هجرة الأفراد من بلد إلى بلد، كهجرة المسلمين إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، واليهود إلى إسرائيل، وسكان شبه الجزيرة الهندية إلى الغرب، يصعب عملية الإحصاء في هذا الباب.

2ـ التصنيفات العِلمية للديانات :

طور علماء الديانات بعد مرورهم بمجموعة من التصنيفات المبنية على علم الجغرافيا، وعلم التاريخ تصنيفا دينيا موضوعيا يلتزم بالعامل الديني في التصنيف، بدلًا من العوامل الجغرافية والتاريخية، وفيما يلي عرض لهذه التصنيفات وما ورد عليها من مؤاخذات واعتراضات :

أ ـ **التصنيف الجغرافي للديانات** : وهوتصنيف يقسم الديانات حسب قارات العالم، فيوزعها إلى ديانات إفريقيا وآسيا وأوروبا والأمريكيتين واستراليا، وذلك بحصر الديانات الموجودة في كل قارة، وتوزيعها على مناطق وأقاليم كل قارة.

وقد تبلور هذا التصنيف انطلاقا من التطور الذي عرفته جغرافيا الديانات كعلم مستقل بذاته، وهوتخصص يهتم بالدراسات ذات الصلة بالجغرافيا في موضوع الديانات، مثل التوزيع الجغرافي للديانات، وعمل الأطالس الجغرافية التي تحدد مناطق انتشار الديانات في العالم، أو الفرع الذي يرصد حركة انتشارها. وتهتم جغرافية الديانات بتحديد الصلة بين العوامل الجغرافية، والفكر الديني، وتأثير البيئة في العادات والتقاليد الدينية.

ومن الاعتراضات التي ترد على هذا التصنيف :

هذا التصنيف محدود القيمة، لأن بعض الديانات تنتشر في أكثر من قارة، وبخاصة الديانتين الإسلامية والمسيحية المنتشرتين في معظم أو كل القارات العالمية، ونجد كذلك أن بعض القارات تكاد تتكون غالبية سكانها من أهل دين واحد، مع وجود بعض الأقليات الدينية التابعة لديانات أخرى، فأوروبا مثلا هي قارة تغلب عليها الديانة المسيحية، بينما يغلب الإسلام على القارة الإفريقية، وتتوزع آسيا بين الإسلام والديانات الهندوسية والبوذية بالإضافة إلى الكونفوشيوسية في الصين، والشنتوية في اليابان.

وقد يظهر دين في قارة، وينتشر في قارة أخرى، مثل المسيحية ظهرت في فلسطين، بينما مناطق انتشارها الأساسية خارج آسيا.

كما يرتبط هذا التقسيم بالعامل السياسي الذي يتحكم في الجغرافيا، ذلك أن تصنيف الديانات حسب الأقاليم الجغرافية المعروفة، ينتج عنه توزيع الديانات إلى ديانات الشرق وديانات الغرب، وهوتقسيم مشهور مرده إلى اعتبارات سياسية وزعت العالم إلى شرق وغرب، وهو تقسيم جغرافي ؛ لكن منطلقه فكري وخلفيته سياسية وحضارية[1].

والحاصل أن تقسيمات الديانات حسب الأقاليم الجغرافية بتقسيمها إلى ديانات الشرق الأدنى أو الشرق الأقصى أو الشرق الأوسط، أو ديانات غرب إفريقيا وشرق إفريقيا، أو ديانات شبه القارة الهندية، أو ديانات الاتحاد السوفياتي - سابقا -، أو ديانات العالم العربي ؛ هي كلها مناطق جغرافية تتبع عوامل سياسية في التقسيم.

ومما يؤاخذ على هذا التصنيف أيضا أنه غير منضبط، إذ يحتاج دائما إلى التغيير والتجديد المستمر، وذلك بحسب حركة انتشار الديانات في العالم، والتي تغير من الخريطة الدينية للعالم بشكل مستمر، وبخاصة مع الديانات التي تسعى للانتشار استنادا إلى مبدإ العالَمية، ونخص بالذكر : الإسلام، والمسيحية، والبوذية، فهذه الديانات تغير في حركتها المستمرة الأوضاع الدينية للبشرية، وتحتاج حركتها إلى متابعة وإعادة توزيع جغرافي حسب الواقع الديني للشعوب.

وعلى الرغم من هذه المؤاخذات فإن التصنيف الجغرافي يعد تصنيفاً عِلميا جيداً في كثير من الأحيان، وخاصة عندما لا نستطيع الوصول إلى تحديد ديني موضوعي دقيق لديانات بعض المناطق[2]، مثل ديانات الشرق الأقصى.

---

1 - يقصد بأديان الشرق : الديانات الهندوسية، والبوذية، والكونفوشيوسية، والشنتوية، والتاوية وغيرها من ديانات الشرق الأقصى. ويقصد بأديان الغرب : اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وسيأتي الكلام عن هذه الديانات في مباحث لاحقة من هذه الدراسة.

ملاحظة : مما ينبغي التأكيد عليه أنه لا يصح منا أن نطلق على الإسلام أنه دين شرقي أو غربي، فهو جغرافيا ينتمي إلى الشرق، وله انتشار في الغرب، كما أن المسيحية واليهودية في الأصل ديانتان شرقيتان، وانتشرتا في الغرب.

2 - بينما يجمع التوحيد بين اليهودية والمسيحية والإسلام ؛ لا نجد مفهوما دينيا واحدا يجمع بين أديان الشرق الأقصى، وهنا يكون المعيار الجغرافي حلا لهذه المشكلة.

وأيضا فإن هذا التصنيف مفيد في معرفة مواقع انتشار الديانات ونشأتها، فهو يعرف بالواقع الجغرافي للديانات من حيث أماكن الانتشار، وتداخل الديانات في بعض المناطق، مما لا تخفى فائدته للمهتمين بهذا المجال.

ب ـ التصنيف التاريخي للديانات : هذا التصنيف يرتب الديانات ترتيباً كرونولوجيا حسب ظهورها في التاريخ، وعادة ما يرتّبها ترتيباً تاريخيا حسب زمن النشأة أو الظهور، فيتبع التقسيمات الخاصة بالعصور التاريخية «عصور قديمة، ووسيطة، وحديثة» أو ديانات بدائية، وديانات حضارية، وقد يلحق تاريخ الديانات بتواريخ الشعوب، إذ بعض العرض التاريخي السياسي للأمم يُعرَض تاريخها الديني، وكثير من المصادر القديمة تجمع بين التاريخ السياسي والتاريخ الديني.

ومن الاعتراضات على هذا التصنيف :

ـ عدم دقة تحديد زمن النشأة، خاصة الديانات البدائية.

ـ صعوبة ترتيب ظهور هذه الديانات ترتيبا دقيقاً، وخاصة عندما تصحب شخصية مؤسس الديانة أساطير وخرافات تغطي على الجانب التاريخي. ومن الديانات التي ظهرت في زمن متقارب : البوذية ـ الزاردشتية ـ الكونفوشيوسية ـ الجينية ـ اليهودية، فكلها تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد ارتبطت معظم الشخصيات المؤسسة لهذه الديانات بأساطير تحجب الرؤية التاريخية لعصورهم وظروف تأسيس دينهم، ومع الصعوبة في تحديد تواريخ النشأة تظهر صعوبة تحديد نهايات بعض الديانات في تاريخها.

ـ بالنسبة لديانات التوحيد ؛ فإن التصنيف التاريخي يهتم بتحديد ظهورها في التاريخ، ولكنه لا يهتم بالنظرية الدينية السائدة فيها والتي تعتبر التوحيد دينا قديما يعود إلى بداية التاريخ الإنساني [1].

---

1 ـ أي الموضوع الذي تقوم عليه وتدعوإليه. ففي حالة الإسلام مثلا تعتبر العقيدة الإسلامية الدين الإسلامي دين البشرية منذ البداية، فهذه الاعتبارات التاريخية لا يُعتمَد عليها عادة في التصنيف التاريخي للأديان الذي يهتم فقط برصد الواقع التاريخي للأديان، ولا يؤرخ لنظريات في الدين.

ـ ومما يؤاخذ على هذا التصنيف أيضا أنه لا يعترف باستمرار الفكر الديني الخاص بدين مُعيَّن رغم نهاية هذا الدين في التاريخ، فالدين قد ينتهي في شكله الأصلي الأساسي، ويظهر في شكل فرق دينية أو مذاهب موجودة على أرض الواقع.

من ناحية أخرى لا يمكن بتاتاً إخضاع الديانات للتقسيم التاريخي بشكل حرفي وفق أقسام العصور التاريخية المعروفة. إذ من الصعب فرض تقسيمات العصور التاريخية «أي : بدائية ـ وسيطة ـ حديثة» على تاريخ الديانات، وذلك لأن تاريخ الديانات لا يرتبط بالضرورة بتاريخ الشعوب والدول، فمثلا القول بديانات وسيطة وديانات حديثة لا يُسلَّم إلا إذا كان المقصود هو الحديث عن الديانات الموجودة في العصر الوسيط، أو الموجودة في العصر الحديث.

ج ـ التصنيف الموضوعي[1].

نتيجة للانتقادات التي وجهت إلى باقي التصنيفات السابقة، فإن علماء الديانات وبعد وقوفهم على أوجه الخلل التي فيها، سواء منها التاريخية أو الجغرافية اختاروا تصنيفا آخر مستمدا من موضوعات هذا العلم، ولا ينظر إلى العلوم الأخرى إلا باعتبارها علوما مساعدة، ولعل هذا التصنيف من أنسب التصنيفات لعلم تاريخ الديانات، وجدير بالذكر أن علماء الإسلام كان لهم فضل السبق في وضع هذا التصنيف الذي ينظر إلى الأساس الذي تقوم عليه كل ديانة من الديانات، ومن هذا المنظور قسموا الديانات إلى أركان الدين الثلاثة : **الديان والمتدين والدين.**

أولا : التصنيف الذي يعتبر المعبود **«مفهوم الألوهية»** فقسموا الديانات إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ ديانات توحيدية، أي تلك التي تعتقد بإله واحد وفي مقدمتها : الإسلام ثم اليهودية، والنصرانية.

---

1 ـ أي ذلك التصنيف المبني على جوهر الديانة التي يعتقد فيها أهلها أو موضوع الاعتقاد الذي يدين به أهل هذه الديانة، أو الأساس الذي ينبني عليه الدين المعتقد.

2 ـ ديانات تعتقد بالثنوية، أي إلهين اثنين، مثل : الديانة الزاردشتية والفرق التابعة لها مثل : المانوية والمزدكية.

3 ـ الديانات ذات التعددية في الآلهة، ومنها : الديانة المصرية القديمة ـ ديانات آشور وبابل، ديانات اليونان والرومان ـ الديانات ذات العلاقة بالطبيعة.

إن فكرة الألوهية هذه أدت إلى تقسيم آخر، وهو التقسيم الذي يصطلح عليه علماء تاريخ الديانات، بالديانات ذات الأصل السماوي، والديانات ذات الأصل الوضعي الأرضي، فقسموا الديانات إلى ديانات سماوية وديانات أرضية في المقابل، وديانات أصلها الوحي وديانات أصلها الوضع الإنساني، وسميت الديانات المبنية على الوحي بالديانات التي جاء بها الرسل أو الديانات النبوية، وكل هذه الديانات مسماها واحد يقصد به الديانات التي أصلها من عند الله.

ثانيا : التصنيف الذي ينظر إلى «**المعتقدين لهذا الدين**»، وفي هذا الباب نجد معيار «**العالَمية**» و«**الشعوبية**»، فهناك ديانات يعتقد أصحابها أن دينهم عالَمي، أي أنه صالح للعالم كله، وبعضهم يعتقد بأن دينه قومي، أو شعوبي، أو محلي، أو إقليمي، وأن هذا الدين في خلاصته خاص بقوم معينين، والذي جعله يأخذ هاته الصفة هو اعتقاد أصحابه واعتناقهم لهاته العقيدة التي تقول بأن دينهم دين مبني على أنه خاص بقوم معينين أو فئة معينة، ومن أمثلة الديانات التي يعتقد أصحابها بأن دينهم عالَمي : المسيحية، والبوذية، والإسلام. بخلاف اليهودية التي حصرها أهلها عليهم «عقيدة شعب الله المختار».

ومن تجليات هذه العقيدة أن أصحاب هذه الديانات يؤمنون بالدعوة إلى معتقدهم، لذلك يجوز أن نطلق عليها ديانات عالمية أو دعوية أو تبليغية.

ثالثا : باعتبار «**أصل الرسالة ومصدرية المعرفة**» : فهناك ديانات مصدر معرفتها الوحي الإلهي، وفي مقابلها ديانات مصدرها العقل الفلسفي.

رابعا : باعتبار «**مضمون وتعاليم الدين**» موضوع الدراسة : نظر علماء تاريخ الديانات إلى ما يفرق المجتمعات المتدينة عن غيرها، فنظروا في مسألة الأخلاق وتنظيم الحياة العامة،

فقسموا الديانات بناء على ذلك إلى «ديانات أخلاقية»، أو تدعو إلى التصوف والزهد والتقشف، وإلى «ديانات أصلها التشريع الإلهي»، فالديانات التوحيدية مثلا ديانات تشريعية، والأخلاق تأتي في منظومة التشريع الديني، أي ليست مستقلة، أو قل إن الدين هو الجانب العِلمي، وأما الأخلاق فهي الثمرة والجانب العَملي.

خامسا : باعتبار «**الهدف والغاية من هذا الدين**» : قسم العلماء الديانات إلى ديانات غايتها الخلاص الإنساني، مع الاختلاف في موضوع الخلاص وطرق تحقيقه، وهذه الديانات تسمى «ديانات الخلاص»، أو «ديانات النرفانا»[1]، على خلاف دين الإسلام الذي يخرج من هذا التصنيف، فهو دين لم يحدد مشكلة تتعلق بالإنسان، لكن الغاية في دين الإسلام هي تحقيق العبودية لله في الأرض»[2].

كان هذا إذاً مجمل التصنيفات التي استخدمها علماء الديانات قصد دراسة الظاهرة الدينية للشعوب والمجتمعات، ولا يخفى ما للتصنيف الأخير من أهمية تجعله تصنيفا مختارا ومعتبرا في هذا البحث الأكاديمي كأساس سنعتمده في وصف الوقائع والأحداث الاعتقادية للديانات التي سنجعلها بين أيدي الدارسين والباحثين، معززينه بما في التصنيفات العلمية الأخرى من إيجابيات لن تخلومنها هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

1- عقيدة هندوسية معناها الالتحام بالذات العليا التي منها كل شيء.
2- من كتاب تاريخ الأديان : دراسة وصفية مقارنة /الدكتور محمد حسن خليفة ص 32 - 48 بتصرف